المصدر: السياسى المصرى
التاريخ : ١٩٩٣/٦/٦

د. محمد اسماعيل على يكتب :

ذكريات وانطباعات شخصية مع الرئيس السادات .. وعنه

عندما هبت الرياح!

هكذا أقلنى « أتوبيس ٨٠٠ » من ميدان رمسيس إلى عالم السياسة

كتبت عن « الانضباط فى الشارع العربى » فهاجمتنى إذاعة بغداد !!

موعد مع « إسرائيلى » يعمل أستاذا للقانون الدولى فى لندن

لقد كانت نقطة التحول فى عام ١٩٧٩ ، ذلك اللقاء الرائع مع منصور حسن يوم ٢٤ يناير حيث ركبت اتوبيس (٨٠٠) من ميدان رمسيس متوجها لشارع حسن صبرى بالزمالك .. كان منصور حسن لايزال بحيوية ونشاط ، جعلتنى معجبا بشخصيته وتواضعة وسلامة منطقة وفكرة التحررى .

ويبدو ان التقارب الفكرى كان واضحا بينى وبين منصور حسن ، وهو مادعاه الى الاتصال بى يوم السبت ١٧ فبراير لمقابلته مساء ذلك اليوم فى مقر الحزب بشارع ريحان بأحد ملحقات قصر عابدين حيث طلب منى اعداد مباحث لدراسات فى العلوم السياسية لمعهد الدراسات الوطنية كما طلب

منى ترشيح من اراه صالحا من الاساتذة للمشاركة فى هذا المعهد .

وفى يوم الخميس ٢٢ فبراير اقشعر بدنى ، وانا استمع لاذاعة بغداد وهى تشن هجوما شديدا على مقال كتبته بعنوان « الانضباط فى الشارع العربى » كانت اذاعة مصر قد اذاعته كاملا !! ووصفتنى الاذاعة باننى من أعوان السادات !! وانننى سوف اكون قريبا فى زبالة التاريخ !!

كان هذا ما كنت اخشاه .. ان اكون طرفا فى صراع او خلاف .. فطبيعتى ضد هذا الاسلوب تماما لاننى اجنح الى السلم والى التسامح والتصالح دائما .. وشغلنى ما اذاعتة اذاعة بغداد ، حتى نقلته الى منصور حسن ، الذى علق ضاحكا بقولة : « ان معنى ذلك انك قد نجحت سياسيا !!

ودفعنى هذا التشجيع الى الرد عليهم بمقال فى الاهرام بعنوان (رفقا ايها الرفاق .

□ الا اننى وجدت نفسى مشدودا رغما عنى لهذا العمل السياسى الذى لااميل اليه .. فقد اتصل بى الدكتور مصطفى العبد استاذ الاقتصاد فى ذاك الحين ، والوزير الشهيد فيما بعد ، لمقابلته بالكلية وعرض على السفر الى جمهورية (مالى)!! واعدت وفى راسى اغنية لسعاد مكاوى بدأت تلح على جدا ، وهى تقول (مالى بيه الواد الخاين)!!

وانقذنى منصور حسن كعادته بالغاء هذه الرحلة التى كان مقرر

اتمامها يوم ٢٧ /٣ /٧٩ ووضع بدلا منها رحلة لالمانيا لزيارة مراكز الدراسات الحزبية هناك يوم ٥ ابريل .. لكن لا هذه الرحلة تمت ولا تلك .. فقد كنت اقدم رجلا واؤخر الاخرى ..

■ وفى يوم السبت ١٧ مارس وفى اطار المساعى التى كلفنى بها منصور حسن اتصلت بالدكتور رمزى الشاعر رئيس جامعة الزقازيق الان وعرضت علية مشاركتنا فى مركز الدراسات الوطنية فرحب بذلك وانضم الينا فعلا .

وكان الدكتور زكريا عزمى فى ذلك الحين مديرا لمكتب حسن كامل رئيس ديوان رئاسة الجمهورية .. ولأن رسالته للدكتوراه كانت فى القانون الدولى العام فقد عرفنى به صديقى الدكتور نبيل حلمى وكيل كلية حقوق الزقازيق واصبحت والدكتور زكريا صديقين حميمين وخصوصا بعد ان نجحت فى اشراكه فى التدريس بكلية الشريعة والقانون وتصحيح اوراق امتحانات القانون الدولى العام . وتزاورنا عائليا ..

وفى يوم ٢٣ مارس زارنى الدكتور زكريا عزمى فى بيتى وفـوجئت به يطلب منى مصاحبته غدا للانضمام الى لجنة العلاقات الخارجيـة بالحزب الوطنى !!

هنا ايقنت اننى لامحالة متورط فى السياسة وفى العمل الحزبى .. ولم انم فى هذه الليلة .

الا اننى استطعت ان اتهرب بمختلف الوسائل والاعزار .

حتى جاء يوم ١٨ يونيو حينما اتصل بى منصور حسن لحضور اجتماعا لاقطاب الحزب الوطنى

فى ذلك الحين ، مع انى لازلت اتهرب من الانضمام الى اى حزب .. لكن ثقته بى كمصرى

اولا ووطنى ثانيا كانت كافية لحتى على بذل جهدى فى سبيل انجاح هذه التجربة ..

كـان الحاضرون فى هـذا الاجتمـاع صفـوت الشريف ـ رئيس الاستعلامات وعبد اللطيف

بلطية وزير العمل السابق وكمال الشاذلى ، وتوفيق عبده اسماعيل (وكان يعمل برئاسة الجمهورية) وامين بسيونى الذى كان دائم التواجد مع منصور حسن .

وسهرنا فى بحث شئون الحزب وتطويره الى الاحسن والافضل وعدت لاجد الصحف فى صباح اليوم التالى ١٩ يونيو تعلن لتشكيل الوزارة الجديد التى حظى فيها منصور حسن بمنصب الاسد نتيجة لثقة السادات به فقد عين وزيرا للثقافة والاعلام ووزيرا لشئون رئاسة الجمهورية ومديرا لمكتب الرئيسى لشئون الحزب ..

يوم ١٨ يوليو فوجئت اثناء تواجدى بالكلية بشخص يهاتفنى بالانجليزية يقول انه استاذ قانون فى

انجلترا ويريد ان يقابلنى مساء اليوم فى فندق شيراتون !!

ولم تكن قدماى اقتربت قبل ذلك من مثل هذه الفنادق .. ولا كان لى علاقة الا بفنادق اسيوط وطنطا ذات الجنية او الجنهين فى الليلة اثناء انتدابى للتدريس !!

لذلك كنت مرتبكا .. كيف ادخل شيراتون الجيزة هذا !! وذهبت الى هناك لااعرف من اين ادخل !! ودرت حول الفندق خائفا من الحراس .. حتى قال لى احدهم ماذا تريد ؟ فقلت له ان عندى موعدا مع استاذ انجليزى فى الكافتيريا الساعة ٩,٣٠ مساء ولااعرف اين هو ..

قادنى واحد من موظفى الاستقبال وانا مبهور بما حولى مثل قروى يرى المدينة لاول مرة !! ووجدت مع شخص اجنبى

لافته صغيرة باسمى فاتجهت اليه .. ولا اذكر اسمه بالضبط ، لكنه رحب بى وسألنى عن ماذا اشرب فطلبت سفن اب .. ثم اتبعه بآيس كريم ..

فاجانى هذا المضيف بانه (اسرائيلى) !! ولا استطيع ان اصف مدى الذعر الذى اصابنى وهو يطلعنى على جواز سفره !!

اسرائيلى الجنسية يعمل استاذا للقانون الدولى فى لندن !! كدت اتركه هاربا .. فحتى ذلك الحين كان الجلوس مع اسرائيلى خطيئة .. او مثار للشبهة والتاويل .. لكنه فاجانى بانه جاء خصيصا ـ ليناقشنى فيما اكتب !!

قال انه اضطلع على رسالة الدكتوراة التى قدمتها بعنوان مدى مشروعية اساتيد السيادة الاسرائيلية فى فلسطين والتى دحضت فيها اى حق لاسرائيل فى فلسطين .. وقال ان رسالتى عنده فى لندن .. وفى اسرائيل .. وان

مقـالاتى بالاهـرام تترجم فى اسرائيل الى العبرية !!

هزنى كلامـه .. واشعرنى بخطورة المسئولية .. ثم ناقشنى وناقشته .. ولم نتفق .. هـو متمسك بالامر الواقع وانا اتمسك بالقانون ..

وانتهى الساعة الثانية عشرة ، وعدت للبيت احكى لزوجتى مرتابا خائفا !! ثم اننى غرقت فى اندهاش لا اول له ولا اخر .. هم يقراون ما نكتبه عنهم .. ويأتون لمصر لمناقشتنا .. وانهم مدافعون اذكياء عما يرون انه حق لهم ، ونحن مدافعون اغبياء ، عما هو حق لنا !

وبطبيعة الحال رويت لمنصور حسن كل ماحدث حتى يبصرنى بما افعله .. فتبسم ضاحكا ، وقال : لاتقلق فهم يهتمون بمن يرونه مؤثرا فى الراى العام . وهم يعتبرونك احد الكتاب المرموقين الذين يؤثرون فى الناس فى مصر .

كنا قد بدانا نعد برامج الدراسة فى مركز الدراسات

الوطنية وكان اتصال منصور حسن بى يوم ٣٠ سبتمبر لاجتماع عاجل مع اعضاء هيئة التدريس وذلك للاعداد لبدء الدراسة ..

كان الموجـودون نحو ٢٧ استاذا شرح كل منهم تصوراته عما يراه جديرا بالتدريس .. لكن الملاحظ انه لم يكن هناك اى فكر ايدولوجى .. بل كان البرنامج ثقافيا محضا .

■ وفى الثانى من اكتوبر وجدت نفس ساعدا ايمن لمنصـور حسـن .. فقـد اجلسنى بجوارة على راس طاولة الاجتماع الطويلـة والقيت كلمة عن برنامج المعهد قام منصور حسن بالتعليق عليها .

فلما استقر الرأى على اعضـاء هيئـة التـدريس والبرامج كنت فى وظيفة (عضـو المكتـب الفنـى

للتثقيف وعضو امانة المركز) وهى وظيفة فى قمة المركز تتولى الاشراف على الاساتذة الذين يقومون بالتدريس .

ولم ادرك ـ الا الان فقط انه كان لى السبق فى الوظيفة والاشراف على اعضاء لم يكونوا فى دائرة الضوء اللامعة فى ذلك الحين .

كان منهم الدكتور اسامه الباز وكيل الخارجية الذى فاجأنى فى ذلك الحين بانه لم يحصل على الدكتوراه وان الصحف هى التى تصر على ذلك .

وكان منهم الدكتور عاطف صدقى مدرسا للاقتصاد والتنمية .. والدكتور سلطان ابو على متخصصا فى الحلقات الدراسية وهى مثل (السكشن) فى التدريس الجامعى .. وكان هؤلاء مع غيرهم اعضاء فقط بهيئة التدريس .

اما الامانة العامة المشرفة على هذا فكانوا .

■ د . عبد المنعم جنيد

■ د . عبد المنعم شوقى

■ د . على فؤاد

■ د . عبد الباسط عوض

■ د . مصطفى السعيد .

■ د . فاروق احمد يوسف

■ د . رمزى الشاعر

■ د . محمد اسماعيل على .

■ لم اكن اعلم ان الدكتور عاطف صدقى سيكون يوما ما رئيسا لوزراء مصر لاطول مدة فى حياة الوزارة ، ولاكان فى ذهنى ان د . اسامة الباز سيكون قطب السياسة الخارجية المصرية .. ولاكان بذهنى ان د . مصطفى السعيد سيكون وزيرا للاقتصاد ولاالدكتور سلطان ابو على ..

كنا نتعامل بعضنا البعض كزملاء من الجامعة

جمعهم هدف واحد هو خلق كوادر سياسية مثقفة

تستطيع التفاعل والالتحام مع الجماهير دون ضغط او اكراه .

وكان هناك نصيبا كبيرا للاختبارات النفسية لاختبار العناصر الجماهيرية ذات القدرة على المناقشة والاقناع ..

وبدأت وفود الدارسين من مختلف المحافظات تتوالى كل وفد ياتى بصحبة المحافظ .. وكثيرا ما توطدت علاقاتى ببعضهم مثل لبيب زمزم محافظ البحيرة

وتعرفت على سيد سرحان محافظ بور سعيد وثروت عطا الله محافظ بنى سويف وعمر عبد الاخر محافظ القليوبية .

ولم يدر بخلدى ان هذا المركز بنواياه الحسنة سوف

يكون هدفا للتدمير من جانب اصحاب المصالح فى الحزب .. فقد روعنا الصدام الذى حدث بين امناء المحافظات وبين المحافظين .. فقد راى كل منهم انه الاحق بان يكون فى الصورة .

ولانسى ذلك الخلاف الذى اثاره المرحوم محمود ابو وافية فقد كان هناك سهرة طويلة امتدت حتى الصباح مع منصور حسن .. كانت مسارا حادا لا لوجود المركز فحسب بل لوجود منصور حسن نفسه الذى اثر الاستقالة فى يونيو ١٩٨١ بعد ان وجد ان الالغام قد بثت فى الطريق !!